فصل[١]

فى سياق مغازيه وبعوثه على وجه الاختصار

وكان أول لواء عقده رسول الله ﷺ لحمزة بن عبد المطلب فى شهر رمضان على رأس سبعة أشهر من مهاجره، وكان لواء أبيض، وكان حامله أبو مرثد كَنَّاز بن الحُصَيْن الغَنَوِىّ، حليف حمزة، وبعثه فى ثلاثين رجلا من المهاجرين خاصة، يعترض عيرا لقريش جاءت من الشام، وفيها أبو جهل بن هشام فى ثلاثمائة رجل، فبلغوا سيف البحر من ناحية العيص، فالتقوا، واصطفوا للقتال، فمشى مجدى بن عمرو الجهنى، وكان حليفا للفريقين جميعا بين[٢] هؤلاء وهؤلاء حتى حجز بينهم ولم يقتتلوا[٣].

فصل

ثم بعث عبيدة بن الحارث بن المطلب فى سرية إلى بطن رابغ فى شوال على رأس ثمانية أشهر من الهجرة، وعقد له لواء أبيض، وحمله مِسْطَح[٤] بن أُثاثَة بن عبد المطلب بن عبد مناف، وكانوا [فى][٥] ستين من المهاجرين ليس فيهم أنصارى.

فلقى أبا سفيان بن حرب، وهو فى مائتين على بطن رابغ على عشرة أميال من الجحفة، وكان بينهم الرمى، ولم يسلوا السيوف، ولم يصطفوا للقتال، وإنما كانت

---

(١) هنا بداية مخطوطة هـ.

(٢) فى خ: «من»، وما أثبتناه من ق، ك، هـ.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام (٢ / ٢٣٧، ٢٣٨)، والطبقات الكبرى لابن سعد (٢ / ٣، ٤).

(٤) فى خ: «مصطح»، وما أثبتناه من ق، ك، هـ.

(٥) ليست فى خ، ق، ك، وما أثبتناه من هـ.

مناوشة، وكان سعد بن أبى وقاص فيهم، وهو أول من رمى بسهم فى سبيل الله، ثم انصرف الفريقان على حاميتهم، قال ابن إسحاق : وكان على القوم عكرمة بن أبى جهل، وقدم سرية عبيدة على سرية حمزة [١].

فصل

ثم بعث سعد بن أبى وقاص إلى الخَرَّار فى ذى القعدة على رأس تسعة أشهر، وعقد له لواء أبيض، وحمله المقداد بن عمرو، وكانوا عشرين راكبا يعترضون عيرًا لقريش، وعهد ألا يجاوز الخرار، فخرجوا على أقدامهم، فكانوا يكمنون بالنهار، ويسيرون بالليل، حتى صَبَّحُوا المكان صبيحة [٢] خمس فوجدوا العير قد مرت بالأمس [٣]، والله أعلم .

فصل

ثم غزا بنفسه غزوة الأَبْوَاء، ويقال لها : وَدَّان، وهى أول غزوة غزاها بنفسه، وكانت فى صفر على رأس اثنى عشر شهرا من مُهَاجره، وحمل لواءه حمزة بن عبد المطلب، وكان أبيض، واستخلف على المدينة سعد بن عبادة، وخرج فى المهاجرين خاصة يعترض عيرا لقريش، فلم يلق كيدا .

وفى هذه الغزوة وادع مَخْشِىَّ بن عمرو الضَّمْرى، وكان سيد بنى ضمرة فى

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٢ / ٢٣٤، ٢٣٥)، والطبقات الكبرى لابن سعد (٢ / ٤) .

(٢) فى ق: «صبح» وما أثبتناه من خ ، ك ، هـ.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام (٢ / ٢٤٢)، والطبقات الكبرى لابن سعد (٢ / ٤، ٥) . والخرّار : موضع قرب الجُحْفة . وقيل : هو واد من أودية المدينة .

زمانه على ألا يغزو بنى ضمرة، ولا يغزوه، ولا يكثروا[١] عليه جمعا، ولا يعينوا عليه عدوا، وكتب بينه وبينهم كتابا، وكانت[٢] غيبته خمس عشرة ليلة[٣].

فصل

ثم غزا رسول الله ﷺ بُوَاطًا فى شهر ربيع الأول على رأس ثلاثة عشر شهرا من مَهَاجره، وحمل لواءه سعد بن أبى وقاص، وكان أبيض، واستخلف على المدينة سعد بن معاذ، وخرج فى مائتين سن أصحابه يعترض[٤] عيرا لقريش فيها أمية بن خلف الجُمَحِىّ، ومائة رجل من قريش، وألفان وخمسمائة بعير، فبلغ بواطا وهما جبلان فرعان أصلهما واحد من جبال جهينة، مما يلى طريق الشام، وبين بواط والمدينة نحو أربعة بُرُد، فلم يلق كيدا فرجع[٥].

فصل

ثم خرج على رأس ثلاثة عشر شهرا من مُهَاجره لطلب كُرْز بن جابر الفهرى، وحمل لواءه على بن أبى طالب ﷺ، وكان أبيض، واستخلف على المدينة زيد بن حارثة، وكان كرز قد أغار على سرح المدينة فاستاقه، وكان يرعى بالحمى، فطلبه رسول الله ﷺ حتى بلغ واديا يقال له : سَفَوان من ناحية بدر، وفاته كرز فلم يلحقه

---

(١) فى هـ : «يكروا» ، وما أثبتناه من خ ، ق ، ك.

(٢) فى خ : «وكان» ، وما أثبتناه من ق ، ك ، هـ .

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد (٢ / ٥)، ودلائل النبوة للبيهقى (٣ / ٩) . والأبواء : قرية بينها وبين الجحفة ثلاثة وعشرون ميلا .

(٤) فى هـ : «معترضًا»، وما أثبتناه من خ ، ق ، ك.

(٥) السيرة النبوية لابن هشام (٢ / ٢٤٠)، والطبقات الكبرى لابن سعد (٢ / ٥، ٦)، ودلائل النبوة للبيهقى (٣ / ١١، ١٢) .

فرجع إلى المدينة[١] .

فصل

ثم خرج رسول الله ﷺ فى جمادى الآخرة على رأس ستة عشر شهرا، وحمل لواءه حمزة بن عبد المطلب، وكان أبيض، واستخلف على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومى، وخرج فى خمسين ومائة، ويقال : فى مائتين من المهاجرين، ولم يكره أحدا على الخروج، وخرجوا على ثلاثين بعيرا يعتقبونها يعترضون عيرا لقريش ذاهبة إلى الشام، وكان قد جاء[٢] الخبر بفصولها من مكة وفيها أموال لقريش، فبلغ ذا العُشَيْرَة، وقيل : العُشَيْراء بالمد، وقيل : العُسَيْرَة بالمهملة، وهى بناحية ينبع، وبين ينبع والمدينة تسعة برد، فوجد العير قد فاتته بأيام، وهذه هى العير التى [خرج][٣] فى طلبها حين رجعت من الشام، وهى التى وعده الله إياها أو المقاتلة، وذات الشوكة، ووفى له بوعده[٤] .

وفى هذه الغزوة وادع بنى مُدْلِج وحلفاءهم من بنى ضَمْرَةَ .

قال عبد المؤمن بن خلف الحافظ : وفى هذه الغزوة كنّى رسول الله ﷺ عليا أبا تراب .

وليس كما قاله، فإن النبى ﷺ : إنما كناه أبا تراب بعد نكاحه فاطمة، وكان نكاحها بعد بدر، فإنه لما دخل عليها، وقال : «أين ابن عمك؟»، قالت : خرج مغاضبا، فجاء إلى المسجد فوجده مضطجعا فيه، وقد لصق به التراب، فجعل

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (٢ / ٦) .
(٢) فى خ : «جاءه» ، وما أثبتناه من ق ، ك ، هـ.
(٣) ليست فى ق ، ك ، وما أثبتناه من خ، هـ .
(٤) السيرة النبوية لابن هشام (٢ / ٢٤٠، ٢٤١)، والطبقات الكبرى لابن سعد (٢ / ٦، ٧) .

ينفضه عنه، ويقول : «اجلس أبا تراب، اجلس أبا تراب» [١]، وهو أول يوم كنى فيه أبا تراب .

فصل

ثم بعث عبد الله بن جحش [٢] الأسدى إلى نَخْلَة فى رجب، على رأس سبعة عشر شهرا من الهجرة، فى اثنى عشر رجلا من المهاجرين، كل اثنين يعتقبان على بعير، فوصلوا إلى بطن نخلة يرصدون عيرًا لقريش، وفى هذه السرية سمى عبد الله ابن جحش أمير المؤمنين .

وكان رسول الله ﷺ كتب له كتابا، وأمره ألا ينظر فيه حتى يسير يومين، ثم ينظر فيه، ولما فتح الكتاب وجد فيه : إذا نظرت فى كتابى هذا فامض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف، فترصد بها قريشا، وتعلم لنا من أخبارهم، فقال : سمعا وطاعة، وأخبر أصحابه بذلك، وبأنه لا يستكرههم، فمن أحب الشهادة فلينهض، ومن كره الموت فليرجع، وأما أنا فناهض فمضوا كلهم .

فلما كان فى أثناء الطريق أضل سعد بن أبى وقاص، وعتبة بن غزوان بعيرا لهما كانا يعتقبانه، فتخلفا فى طلبه، وبَعُدَ عبد الله بن جحش حتى نزل بنخلة، فمرت به عير لقريش تحمل [٣] زبيبا، وأدما، وتجارة فيها عمرو بن الحضرمى، وعثمان ونوفل : ابنا عبد الله بن المغيرة، والحكم بن كيسان مولى بنى المغيرة، فتشاور المسلمون وقالوا: نحن فى آخر يوم من رجب الشهر الحرام، فإن قاتلناهم انتهكنا الشهر الحرام، وإن تركناهم الليلة دخلوا الحرم .

ثم أجمعوا على ملاقاتهم، فرمى أحدهم عمرو بن الحضرمى فقتله، وأسروا

---

(١) البخارى فى الصلاة (٤٤١)، ومسلم فى فضائل الصحابة (٢٤٠٩ / ٣٨) .

(٢) فى ق: «عبد الرحمن بن جحش» ، وما أثبتناه من خ ، ك ، هـ.

(٣) فى خ : «تحتمل» ، وما أثبتناه من ق ، ك ، هـ.

عثمان، والحكم، وأفلت نوفل، ثم قدموا بالعير، والأسيرين، وقد عزلوا من ذلك الخمس، وهو كان أول خمس فى الإسلام، وأول قتيل فى الإسلام، وأول أسيرين[١] فى الإسلام، وأنكر رسول الله ﷺ عليهم ما فعلوه[٢].

واشتد تعنت قريش، وإنكارهم ذلك، وزعموا أنهم قد وجدوا مقالا فقالوا: قد أحل[٣] محمد الشهر الحرام، واشتد على المسلمين ذلك[٤] حتى أنزل الله تعالى ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ﴾ [البقرة: ٢١٧]، يقول سبحانه: هذا الذى أنكرتموه عليهم وإن كان كبيرا فما ارتكبتموه أنتم من الكفر بالله، والصد عن سبيله، وعن بيته، وإخراج المسلمين الذين هم أهله منه، والشرك الذى أنتم عليه، والفتنة التى حصلت منكم به أكبر عند الله من قتالهم فى الشهر الحرام.

وأكثر السلف فسروا الفتنة هاهنا بالشرك، كقوله تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ [البقرة: ١٩٣]، ويدل عليه قوله ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأنعام]، أى: لم يكن مآل شركهم، وعاقبته، وآخر أمرهم إلا أن تبرؤوا منه، وأنكروه.

وحقيقتها: إنها الشرك الذى يدعو صاحبه إليه، ويقاتل عليه، ويعاقب من لم يفتتن به، ولهذا يقال لهم وقت عذابهم بالنار، وفتنتهم بها: ﴿ ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ ﴾

---

(١) فى هـ: «أسير»، وما أثبتناه من خ، ق، ك.

(٢) البيهقى فى الكبرى فى السير (٩/ ٥٨، ٥٩).

(٣) فى هـ: «حل»، وما أثبتناه من خ، ق، ك.

(٤) السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ٢٤٣ ـ ٢٤٧)، والطبقات الكبرى لابن سعد (٢/ ٧)، ودلائل النبوة للبيهقى (٣/ ١٧، ١٨).

[الذاريات : ١٤] قال ابن عباس : تكذيبكم، وحقيقته : ذوقوا نهاية فتنتكم، وغايتها، ومصير أمرها كقوله[١] : ﴿ذُوقُوا مَا كُنتُم تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الزمر]، وكما فتنوا عباده على الشرك فتنوا على النار، وقيل لهم : ذوقوا فتنتكم، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا﴾ [البروج : ١٠]، فسرت الفتنة هاهنا بتعذيبهم المؤمنين، وإحراقهم إياهم بالنار، واللفظ أعم من ذلك، وحقيقته : عذبوا المؤمنين ليفتتنوا[٢] عن دينهم، فهذه الفتنة المضافة إلى المشركين .

وأما الفتنة التى يضيفها ـ سبحانه ـ إلى نفسه، أو يضيفها رسوله إليه، كقوله : ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ [الأنعام : ٥٣] وقول موسى :﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ﴾[الأعراف : ١٥٥]، فتلك بمعنى آخر وهى بمعنى الامتحان، والاختبار، والابتلاء من الله لعباده بالخير، والشر، بالنعم والمصائب، فهذه لون، وفتنة المشركين لون، وفتنة المؤمن فى ماله وولده وجاره لون آخر .

والفتنة التى يوقعها بين أهل الإسلام كالفتنة التى أوقعها بين أصحاب على، ومعاوية، وبين أهل الجمل، وصفين، وبين المسلمين حتى يتقاتلوا، ويتهاجروا لون آخر، وهى الفتنة التى قال النبى ﷺ فيها: «ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشى، والماشى فيها خير من الساعى»[٣]، وأحاديث الفتنة التى أمر النبى ﷺ فيها باعتزال الطائفتين هى هذه الفتنة .

وقد تأتى الفتنة مرادا بها المعصية، كقوله تعالى :﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي

---

(١) فى خ : «لقوله» ، وما أثبتناه من ق ، ك ، هـ .

(٢) فى هـ : «ليفتنوا»، وما أثبتناه من خ ، ق ، ك.

(٣) أحمد (٢ / ٢٨٢)، والبخارى فى الفتن (٧٠٨١، ٧٠٨٢)، ومسلم فى الفتن وأشراط الساعة (٢٨٨٦ / ١٠ ـ ١٢) .

وَلَا تَفْتِنِّي ﴾[التوبة : ٤٩] يقوله[(١)] الجد بن قيس لما ندبه رسول الله ﷺ إلى تبوك، يقول : ائذن لى فى القعود، ولا تفتنى بتعرضى لبنات الأصفر، فإنى لا أصبر عنهن، قال تعالى : ﴿أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾[التوبة : ٤٩] أى : وقعوا فى فتنة النفاق، وفروا إليها من فتنة بنات الأصفر[(٢)].

والمقصود : إن الله ـ سبحانه ـ حكم بين أوليائه وأعدائه بالعدل، والإنصاف، ولم يبرئ أولياءه من ارتكاب الإثم بالقتال[(٣)] فى الشهر الحرام، بل أخبر أنه كبير، وأن ما عليه أعداؤه المشركون أكبر، وأعظم من مجرد القتال فى الشهر الحرام، فهم أحق بالذم، والعيب والعقوبة، لا سيما وأولياؤه كانوا[(٤)] متأولين فى قتالهم ذلك أو مقصرين نوع تقصير يغفره الله لهم فى جنب ما فعلوه من التوحيد، والطاعات، والهجرة مع رسوله، وإيثار ما عند الله، فهم كما قيل :

وإذا الحبيب أتى بذنب واحد ... جاءت محاسنه بألف شفيع

فكيف يقاس ببغيض عدو جاء بكل قبيح، ولم يأت بشفيع واحد من المحاسن .

فصل

ولما كان فى شعبان من هذه السنة حولت القبلة، وقد تقدم ذكر ذلك.

---

(١) فى ق : «ولا تفتنى ألا فى الفتنة يقوله» ، وما أثبتناه من خ ، ك ، هـ.

(٢) انظر : الإصابة فى تمييز الصحابة (١ / ٢٢٨، ٢٢٩) (١١١٠)، وذكر الحافظ ابن حجر الحديث وقال : «رواه ابن مردويه من حديث عائشة بسند ضعيف، ومن حديث جابر بسند فيه مبهم»، وانظر: تفسير ابن كثير عند هذه الآية .

(٣) فى خ : «بالقتل» ، وما أثبتناه من ق ، ك ، هـ.

(٤) فى خ : «لاسيما أولياؤه وكانوا» ، وما أثبتناه من ق ، ك ، هـ.